

أسباب ورود الحديث مؤلفاته، أقسامه، فوائده

د. عابد العوي

بسم الله الرحمن الرحيم أسباب ورود الحديث مؤلفاته، أقسامه، فوائده

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فمن علوم الحديث المهمة التي تعين على التفقه في السنن الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، علم معرفة أسباب ورود الحديث، وقد وعى هذا الأمر الصحابة رضي الله عنهم ثم من بعدهم من أئمة الإسلام، ولكن لم يفرد بالتصنيف إلا عند المتأخرين على ندرة في ذلك، فلم يصلنا إلا كتابان منه. وأما الباحثون المعاصرون فقد انصرفت همتهم إلى دراسة هذا النوع من علوم الحديث؛ للحاجة الملحة إلى استيعاب ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الأحوال والمقتضيات والمناسبات ... إلى فوائد عدة سيأتي ذكر بعض منها؛ مما يعين على حسن تنزيل مدلولات الأحاديث النبوية على الوقائع والمستجدات، مع حسن التمييز بين ما هو شرع عام للأمة وما هو خاص بعرف معين، وما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بصفته مشرعا أو بصفته إماما، أو بصفته قاضيا.....

قال جلا الدين السيوطي (ت 911 هـ) في ألفيته مبرزا علم أسباب ورود الأحاديث:

أَوَّلُ مَنْ قَدْ أَلَّفَ الْجُوبَارِي فَالْعُكْبَرِيُّ فِي سَبَبِ الْأَثَارِ
وَهُوَ كَمَا فِي سَبَبِ الْقُرْآنِ مُبَيَّنٌّ لِلْفَقْهِ وَالْمَعَانِي
مِثْلُ حَدِيثِ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ سَبَبُهُ فِيمَا رَوَوْا وَقَالُوا:
مُهَاجِرٌ لَأُمِّ قَيْسٍ كَيْ نَكَحَ مِنْ ثُمَّ ذَكَرُ امْرَأَةٍ فِيهِ صَلَاحٌ

أولاً: المراد بسبب ورود الحديث:

بين مفهومه أبو شُهبة بقوله: "هو علم يبحث فيه عن الأسباب الداعية إلى ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحديث أولاً، وهذا السبب قد يكون سؤالاً، وقد يكون قصة، وقد تكون حادثة فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديث بسببه أو بسببها¹.
فالأحاديث الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إما أن تكون ابتداء لغير سبب، لإثبات عقيدة أو حكم بتحليل أو تحريم، أو أمر أو نهي أو للدعوة لخلق ما وإما أن يصدر منه قول أو فعل بسبب سؤال أو حادثة ... فهذا هو ما يكون له سبب ورود.

ثانياً: المؤلفات في أسباب ورود الحديث:

لم يعتن العلماء المتقدمون بتخصيص أجزاء حديثية في هذا النوع من الأحاديث النبوية، وإنما تجدها مثورة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من كتب الحديث.
- وقد نسب لأبي حفص العكبري (ت 387هـ) التصنيف في هذا النوع، قال ابن حجر (ت 852هـ): "ومن المهم: معرفة سبب الحديث. وقد صنف فيه بعض شيوخ القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي (ت 458هـ)، وهو أبو حفص العكبري (ت 387هـ). قد ذكر الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد (ت 702هـ)، أن بعض أهل عصره شرع في جمع ذلك، وكأنه ما رأى تصنيف العكبري المذكور"².

ومُنَّ صنف فيه كذلك الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي (ت 409هـ)، وأبو الفرج ابن الجوزي (ت 597هـ)، قال ابن الملقن (ت: 804هـ): "واعلم: أن بعض المتأخرين من أهل الحديث شرع في تصنيف في أسباب الحديث كما صنف في أسباب النزول للقرآن

¹ الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص: 467)، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: 1403هـ)، دار الفكر العربي.

² نزهة النظر في اصطلاح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ). تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي. مطبعة سفير

بالرياض. الطبعة: الأولى، 1422هـ

العزیز كالواحدی (ت 468هـ) وغيره، كذا عزاه الشيخ تقي الدين لبعض المتأخرين، وعزاه ابن العطار في شرحه إلى ابن الجوزي وغيره، وسمعت من يذكر أن عبد الغني بن سعيد الحافظ صنف فيه تصنيفاً قدر العمدة³.

كما نسب الإمام الذهبي (ت 748هـ)⁴ وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)⁵ لأبي حامد محمد بن كوتاه الجوباري (582هـ) تصنيف كتاب في هذا الفن.

- وقد ذكر المرادي في سلك الدرر أن لأبي البقاء العكبري (ت 616هـ) كتاباً في أسباب ورود الحديث، وهو الكتاب الذي لخصه ابن حمزة الحسيني (ت 1120هـ) في كتابه البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث. وزاد عليه زيادات حسنة⁶. وسيأتي ذكره قريباً - إن شاء الله -.

- كما نسب ابن رجب الحنبلي (ت 795) لناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الحنبلي الدمشقي (ت 634هـ) كتاباً في أسباب الحديث، قال عنه: "وللناصح رحمه الله تعالى تصانيف عدة، منها: كتاب "أسباب الحديث" في مجلدات عدة...".

³ الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (1/ 205). لأبي حفص ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: 804هـ). تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح. دار العاصمة. الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م

⁴ تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، للشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت 748هـ). تحقيق بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي 2003 م.

⁵ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (2/ 929)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ). تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفارياني. دار الطيبة.

⁶ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (1/ 23). لأبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي (ت: 1206هـ). دار ابن حزم. الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.

⁷ ذيل طبقات الحنابلة (3/ 434)، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: 795هـ). تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. مكتبة العبيكان. الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2005 م.

وكل هذه الكتب لا تزال في عداد التراث المفقود، شأنها شأن العديد من مؤلفات هذه الأمة.

وأما المصنفون في علم مصطلح الحديث فلم يذكروا هذا النوع ضمن أنواع علوم الحديث، كابن الصلاح (ت 643) الذي ضمن مقدمته خمسة وستين نوعاً من أنواع علوم الحديث، ولم يكن منها أسباب ورود الحديث، إلى أن جاء السراج البلقيني (ت 805) في كتابه: "محاسن الاصطلاح وتضمنين كتاب ابن الصلاح"، حيث أضاف خمسة أنواع من علوم الحديث على مقدمة ابن الصلاح منها: معرفة أسباب الحديث⁸.

لهذا يعتبر ما أورده البلقيني في محاسن الاصطلاح أول محاولة وصلت إلينا فيها إظهار لهذا النوع من الأحاديث، حيث استطرّد في بيان فوائده وأنواعه والتمثيل له، بخلاف غيره من أنواع علوم الحديث التي ذكرها ابن الصلاح في مقدمته. وفي هذا المعنى يقول البلقيني (ت 805) في خاتمة المبحث الذي تحدث فيه عن النوع التاسع والستين، وهو معرفة أسباب الحديث: "وفي أبواب الشريعة والقصص وغيرها، أحاديث لها أسباب يطول شرحها. وما ذكرنا أنموذج لمن يريد تعرف ذلك، ومدخل لمن يريد أن يضيف مبسوطاً في ذلك، والمرجو من الله - سبحانه وتعالى - الإعانة على مبسوط فيه، بفضلته وكرمه"⁹.

وأما الكتب المطبوعة المتداول في أسباب ورود الحديث فكتابان وهما:

- كتاب الأول: اللمع في أسباب ورود الحديث، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ). رتبّه السيوطي أحاديثه حسب الأبواب الفقهية على طريقة كتب السنن والصحاح، بحيث يذكر أحاديث باب الطهارة مثلاً ثم أحاديث باب الصلاة

⁸ ينظر مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (ص: 698). تحقيق: د عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، الطبعة الثانية

1409هـ/ 1989م.

⁹ ينظر مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (ص: 713).

... إلخ. وقد ضمنه ثمانية وتسعين (98) حديثاً دون المكرر منها، وعدد المكرر هو تسعة وعشرون (29) حديثاً. وطريقته في إيراد الأحاديث أنه يحذف الأسانيد مكتفياً بذكر الصحابي مبتدئاً بعزوه إلى المصادر التي اعتمدها، وهي متنوعة وكثيرة منها كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم والأجزاء الحديثية إلخ¹⁰، ثم يذكر متن الحديث، وبعده سبب وروده معزواً إلى الكتب التي أخرجته.

مثال من كتاب اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي من باب البيوع حديث رقم 39:

39- أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها. نهى البائع والمشتري. وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تتباعوا الثمار حتى يبدو صلاحها".

39 - سبب وروده: أخرج أحمد والبخاري عن زيد بن ثابت قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونحن نتابع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خصومة، فقال: ما هذا؟ .

ف قيل له: هؤلاء ابتاعوا الثمار يقولون: أصابها الدَّمَانُ القُشَامُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فلا تتباعوها حتى يبدو صلاحها"¹¹. فأفادنا هذا السبب أن من أسباب النهي عن بعض البيوع هو ما يترتب عليها من نزاع بين المتبايعين. وهذا الحديث مثال لما ذكر سببه في حديث آخر .

¹⁰ مقدمة تحقيق كتاب اللمع في أسباب الحديث للسيوطي (ص: 21) لمحقق غياث عبد اللطيف دحدوح. دار المعرفة. الطبعة الأولى سنة 1425 هـ/ 2004 م.

¹¹ اللمع في أسباب الحديث للسيوطي (ص: 114) لمحقق غياث عبد اللطيف دحدوح. الدَّمَانُ: فساد الثمر، وعفنه قبل إدراكه. والقُشَامُ: أصابها التقرح والقرحة.

- كتاب الثاني: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لإبراهيم بن محمد، الشهير بابن حمزة الحُسَيْنِي الحنفي الدمشقيّ (ت: 1120هـ). وهو كتاب لخص فيه مُصَنَّفَ أَبِي البقاء العُكْبَرِي (ت 616هـ) وزاد عليه زيادات حسنة¹² وضم إليه فوائد استفادها من كتاب اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي (ت: 911هـ)¹³. ومنهجه فيه: حذف أسانيده حتى من ذكر الصحابي، مع ترتيبه حسب حروف المعجم. فبعد ذكر طرف من الحديث موطن الشاهد الحديث من الكتب التي اعتمدها، وهي ما بينه بقوله: "وعُني بتخريج أحاديثه من المعاجم والمسانيد والكتب الستة. والواجب في الصناعة الحديثية أنه إذا كان الحديث في أحد الصحيحين لا يعزى لغيره البتة إلا إذا اقتضى الحال، ولكل مقام مقال"¹⁴. ثم بعد تخريج الحديث يذكر سبب وروده عازيا السبب لمن أخرج لفظه من أصحاب كتب الحديث التي اعتمدها وأحيانا بدون عزوها. وقد ضمن كتابه: أربعة وثلاثين وثمان مئة وألف (1834) حديثا. وقد يذكر للحديث الواحد أكثر من سبب¹⁵.

مثال من كتاب البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث رقم (1021):

- ذكر في حرف الدال المهملة: "(1021): دعوه فإن لصاحب الحق مقالا"¹⁶.

¹² سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (1/ 23).

¹³ مقدمة تحقيق كتاب اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي (ص: 10). لمحققه عبد العزيز سعد التخيفي. رسالة جامعية جامعة الملك عبد العزيز سنة 1979.

¹⁴ البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (4/ 1)، لإبراهيم بن محمد. الشهير بابن حمزة الحُسَيْنِي الحنفي الدمشقيّ (ت: 1120هـ). تحقيق سيف الدين الكاتب. دار الكتاب العربي بيروت.

¹⁵ أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس (ص: 153).

¹⁶ قال ابن حجر (ت 852هـ) في فتح الباري شرح صحيح البخاري: "أي صولة الطلب وقوة الحجة، لكن مع مراعاة الأدب المشروع".

أخرجه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

سببه: كما في البخاري أن رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغظ له، فهم به أصحابه فقال دعوه فإن لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا فأعطوه إياه قالوا لا نجد إلا أفضل من سنه قال اشتروه فأعطوه إياه فإن خيركم أحسنكم قضاء"¹⁷. وهذا مثال مما ذكر سببه في نفس الحديث.

تنبيه: هذان الكتابان لم يلتزما الصحة في ما يذكران من أحاديث، فقد يكون الحديث وسببه ضعيفن، وقد يكونا صحيحين، وقد يكون أحدهما صحيحا والآخر ضعيفا.

- تنبيه: إن كان ما أورده البلقيني في "محاسن الاصطلاح" أحاديث معدودة، إلا أنه حللها بطريقة علمية رصينة، أبرز من خلالها فوائد الوقوف على أسباب ورود الأحداث، بخلاف عمل السيوطي وابن حمزة الحسيني حيث اقتصرنا على جمع المادة بذكر الأحاديث مقرونة بأسبابها.

ومن المظان التي قد يقف فيها الباحث على عدد كبير من أسباب الورود، كتاب جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي، أو ما يسمى بالجامع الكبير، حيث قال المتقي الهندي في كنز العمال واصفا منهج السيوطي في كتابه المذكور: "لما انتهى قسم الأقوال من كتاب جمع الجوامع مرتبا على حروف المعجم في أول اللفظ النبوي اتبعته ببقية الأحاديث الخارجة عن هذه الشريطة وهي الفعلية المحضه أو المشتملة على فعل وقول أو سبب أو مراجعة أو نحو ذلك ليكون الكتاب جامعا لجميع ما هو موجود من الأحاديث النبوية إن شاء الله"¹⁸.

¹⁷ البيان والتعريف (2/ 49).

¹⁸ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين، الشهير بالمتقي الهندي (ت: 975هـ).

ثالثاً: الدراسات المعاصرة التي اهتمت بأسباب ورود الأحاديث دراسة وتحليلاً¹⁹:

- معرفة أسباب الحديث. لسعد التخيفي. بحث في مجلة كلية أصول الدين بتاريخ 1400هـ.

- أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس. للدكتور محمد رأفت السعيد. من منشورات كتاب الأمة العدد 37.

- علم أسباب ورود الحديث وتطبيقاته عند المحدثين والأصوليين للدكتور طارق أسعد حللمي الأسعد.

- علم أسباب ورود الحديث للدكتور بدر عبد الحميد هميسة.

- سبب ورود الحديث: ضوابط ومعايير. لزين العابدين محمد عصري.

- أسباب ورود الحديث وأثره في فقه الحديث. لآسور رضا أحمد.

- أسباب ورود الحديث وأثر معرفتها في توجيه الأحكام حسن الشرقاوي.

- علم أسباب ورود الحديث، ومكانته، وأهميته في التشريع الإسلامي. للدكتور رمضان أيوالي أرضروم.

- أثر معرفة أسباب الورد في التعامل مع الحديث فقهياً وتنزيلياً. لزوهير الباتني الجزائري.

- علم ورود الحديث وأثره في فقه الحديث. للدكتور علي خضير حجي وفلاح رزاق جاسم. بحث منشور في مجلة اللغة العربية.

وكتاب كنز العمال جمع فيه مؤلفه بين ثلاثة كتب من كتب السيوطي وهي: الجامع الكبير، والجامع الصغير، وزيادات الجامع الصغير. ثم رتبها حسب الأبواب الفقهية على ترتيب حروف المعجم. لأن كتب السيوطي كانت أحاديثها مرتبة حسب حروف المعجم دون مراعاة للأبواب الفقهية.

¹⁹ من موقع الألوكة.

- أثر أسباب ورود الحديث في فهم السنة. للدكتور بلقاسم حديد. بحث منشور في مجلة المعيار.

- علم أسباب ورود الحديث ومقارنته بأسباب النزول. لعلي عبد الله علي سراج.
- معرفة أسباب الحديث. لسعد التخيفي. بحث في مجلة كلية أصول الدين بتاريخ 1400هـ.

- أسس وأنواع علم أسباب ورود الحديث النبوي وفوائده للدعاة إلى الله مع ذكر نماذج عديدة. من جامعة الأزهر قسم اللغة العربية 2004م
- أسباب ورود الحديث في سنن الترمذي (279هـ). من جامعة الأزهر قسم اللغة العربية 2005م.

- أسباب ورود الحديث عند الحافظ ابن حجر في فتح الباري. دراسة تطبيقية. لحسن بن محمد عبد الجي.

رابعاً: مقارنة بين أسباب ورود الحديث وأسباب نزول القرآن.

أ- الفرق بينهما:

- الفرق الرئيس بينهما هو أن أسباب نزول القرآن مرتبط بالأحداث والأسئلة التي ينزل القرآن للإجابة عنها أو للإرشاد أو التقويم....

وأما أسباب ورود الأحاديث فهي صادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله أو فعله، لنفس الأغراض التي ينزل القرآن من أجلها.

فأسباب نزول القرآن من كلام الله تعالى، وأسباب ورود الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

- ومنها أيضا أن أغلب القرآن نزل ابتداء لغير سبب، والقليل منه ما نزل لسبب. بخلاف أسباب ورود الحديث فالذي يظهر أن نسبة ما ورد لسبب في الأحاديث أعلى مما نزل لسبب من القرآن الكريم، وإن كان هذا الأمر يحتاج إلى بحث موسع تستقرى فيه السنة النبوية حتى يميز منها ما ورد لسبب مما ورد ابتداء.

ب أوجه الاتفاق بينهما: وأما أوجه الاتفاق بينهما فمناها:

- اتحادهما في الطريق إلى معرفة سبب النزول وسبب الورد: كلاهما يتوصل إليه عن طريق النقل عن الصحابة رضوان الله عليه الذين حضروا الوقائع والأحداث. وكذلك بالنسبة للتابعي الذي يقبل مرسله، وهو يؤول إلى النقل عن الصحابة.

- ومنها: الفوائد المستفادة من معرفة أسباب نزول الآيات وأسباب ورود الأحاديث.

قال السيوطي في ألفيته: وَهُوَ كَمَا فِي سَبَبِ الْقُرْآنِ مُبَيَّنٌّ لِلْفَقْهِ وَالْمَعَانِي

- ومنها قد تتكرر الآية لأكثر من سبب²⁰، وكذلك الحديث قد يرد لأكثر من سبب.

مثال ما تكرر نزوله من القرآن آيات اللعان حيث نزلت في قصة قذف عويمر العجلاني امرأته، وفي قصة قذف هلال بن أمية امرأته²¹.

ومثال لما تكرر وروده من الأحاديث: حديث ذكره السيوطي في باب الصلاة رقم 15²².

حديث: أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أكل من هذه البقلة فلا يقربن مسجدنا حتى يذهب ريحها". يعني الثوم.

²⁰ ينظر مقدمة في أصول التفسير (ص: 50) لأبي العباس ابن تيمية الحراني. تحقيق عدنان زرزور، الطبعة الثانية، سنة

1392 هـ/ 1972.

²¹ الحديثان في صحيح البخاري (4468) و(4470). وينظر المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: 48)، لعبد الله بن يوسف

الجديع. مؤسسة الريان، الطبعة الأولى 1422 هـ/ 2001 م.

²² اللع في سبب ورود الحديث (ص: 82). تحقيق غياث عبد اللطيف دحدوح

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مسجدنا، ولا يؤذينا بريح الثوم".

سبب وروده: أخرج أحمد عن المغيرة بن شعبة قال: أكلت ثوما ثم أتيت مصلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني بركعة، فلما صلى قمت أقضي، فوجد ريح الثوم، فقال: "من أكل من هذه البقلة فلا يقربن مسجدنا حتى يذهب ريحها".

سبب وروده: وأخرج أحمد ومسلم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى زمن خيبر عن البصل والكراث. فأكلها قوم ثم جاءوا إلى المسجد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألم أنه عن هاتين الشجرتين المنتنتين؟" قالوا: بلى يا رسول الله، ولكن أجهدنا الجوع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكلها فلا يحضر مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".

الأول: بسبب ما وقع من المغيرة بن شعبة، والثاني: في حديث جابر بسبب ما وقع من مجموعة من الصحابة.

- ومنها: ليس كل ما ذكر العلماء أنه سبب نزول أو ورود يسلم به: لهذا انتقد كثير ما عدَّ سببا للنزول مما تضمنته كتب أسباب النزول، ككتاب أسباب النزول للواحدي (ت468هـ)، وكذلك الشأن بالنسبة لكتب أسباب الورد، ومثاله في أسباب الورد:

حديث عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"²³. هذا الحديث ذكر له ابن دقيق العيد (ت702هـ) سبب ورود وهو: "ومعنى الحديث وحكمه يتناول الجميع، غير أن السبب يقتضي: أن

²³ متفق عليه

المراد بالحديث الهجرة من مكة إلى المدينة؛ لأنهم نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة، لا يريد بذلك فضيلة الهجرة وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس.... فسمي مهاجر أم قيس ولهذا خص في الحديث ذكر المرأة، دون سائر ما تنوى به الهجرة من أفراد الأغراض الدنيوية، ثم أتبع بالدنيا..... وهذا الحديث - على ما قدمنا من الحكاية عن مهاجر أم قيس - واقع على سبب يدخله في هذا القبيل²⁴.

وقد تابع ابن دقيق العيد كل من البلقيني والسيوطي وابن حمزة الحسيني، وإن كان السيوطي حاول أن يلتمس رواية صريحة في السببية وهي: "قال الزبير بن بكار في أخبار المدينة: حدثني محمد بن الحسن عن محمد بن طلحة ابن عبد الرحمن عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك فيها أصحابه وقدم رجل فتزوج امرأة مهاجرة، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: "يا أيها الناس إنما الأعمال بالنية. ثلاثاً"²⁵. لكنه حديث منكر فهو مرسل وفيه ضعفاء.

لهذا قال الحافظ ابن حجر تعقيباً على قول ابن دقيق العيد: "وقصة مهاجر أم قيس رواها سعيد بن منصور، قال: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود، قال: من هاجر يبتغي شيئاً فإنما له ذلك، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس، فكان يقال له مهاجر أم قيس. ورواه الطبراني من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس. وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين لكن ليس فيه أن

²⁴ إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام (1/ 62) لابن دقيق العيد (ت702هـ). مطبعة السنة المحمدية

²⁵ اللمع في أسباب الورود (ص: 66).

حديث الأعمال سيق بسبب ذلك ولم أر في شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك".
وجه الشاهد من قول الحافظ ابن حجر أنه لم يطلع على رواية صحيحة فيها التصريح بالسببية أو إفادتها.

خلاصة: ليس كل ما جعله العلماء سبباً لورود الحديث يسلم به فقد يكون من اجتهادهم²⁶، لهذا لا بد من توفر شرطين، وهما:

- 1- أن يكون منقولا عن الصحابة رضوان الله عليهم.
- 2- أن يكون بخصوص ذلك الحدث الذي من أجله قيل الحديث. وهذا يستلزم وقوعه في زمن النبوة.

واحترز بالشرط الأول ما كان عن طريق اجتهاد العلماء؛ لأن هذا الأمر لا سبيل لمعرفة إلا عن طريق النقل المتصل بزمن النبي صلى الله عليه وسلم.

واحترز بالشرط الثاني عما كان من قبيل التمثيل أو الاستدلال من الصحابة، مما وقع بعد زمن النبوة؛ لأن الفرق بينهما مؤثر، وذلك أن صورة السبب داخله في الحكم الذي دل عليه النص بالقطع²⁷، بخلاف غيرها من الصور؛ فهي إما من جهة العموم، أو من جهة القياس²⁸؛ فقد يكون جعل السبب الثاني سبباً في الحديث من اجتهاد الصحابي الذي قد يخالف فيه نصاً آخر أو قول صحابي آخر، فلا يعد حينئذ السبب الثاني مما يصدق عليه حكم النص، فينظر حينئذ هل صورته داخل في عموم النص، أو يحكم لها بنفي الفارق فتقاس عليه؟ وإن لم يصدق عليها ما ذكر فلا يشملها حكم النص الحديثي.

²⁶ ينظر أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس (ص: 149).

²⁷ ينظر: جمع الجوامع لابن السبكي (ص: 323).

²⁸ ينظر المحرر في علوم القرآن (ص: 137) لمساعد بن سليمان الطيار. الناشر مركز الدراسات والعلوم القرآنية بمعهد الإمام

الشاطبي. الطبعة الأولى سنة 1429 هـ/ 2008 م.

وفي هذا يقول أبو شهبة تعلقا على ما ذكر ابن حمزة الحسيني²⁹: "أقول: والحق أن سبب الورود إنما يراد به السبب الذي بسببه قال النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديث، أما ذكر الصحابي للحديث فيما بعد ليستدل به في مناسبة من المناسبات فإنه لا يسمى سبب ورود، وإنما يسمى: "سبب ذكر" فنقول مثلاً: والسبب في ذكر الصحابي رضي الله عنه الحديث هو كذا"³⁰.

خامساً: أقسام أسباب ورود الأحاديث³¹:

تنقسم الأحاديث النبوية من حيث ورودها إلى قسمين؛ ما له سبب ورد لأجله، وما لا سبب له.

ثم ما له سبب ينقسم بدوره إلى أنواع وهي³²:

أ - مثال: ما ذكر سببه في الحديث كسؤال يجيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم: كحديث جبريل الذي سأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها.

ومنه حديث: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله؟ قال: "الصلاة على وقتها". قال ثم أي؟ قال: "ثم بر الوالدين

²⁹ قال في كتابه البيان والتعريف (3 / 1): "وقد علم بما قرره أن من الأسباب ما يكون بعد عصر النبوة كما في أحاديث ذكروا أسباب ورودها عن الصحابة رضي الله عنهم، وقد نظر بعض المتأخرين في ذلك، ولكن ذكرها أولى لأن فيه بيان السبب في الجملة فإن الصحابة رضي الله عنهم حفظوا الأقوال والأفعال وحافظوا على الأطوار والأحوال فيكون السبب في الورود عنهم مبيناً لما لم يعلم سببه عن النبي صلى الله عليه وسلم".

³⁰ الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص: 468).

³¹ البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف

³² مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (ص: 698)، و(ص: 699)، وتدريب الراوي (2 / 929)

" قال ثم أي ؟ قال: " الجهاد في سبيل الله ". قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني " ³³ .
هذان الحديثان سببهما سؤال سئله النبي صلى الله عليه وسلم .

- ومثال لحديث نبوي بسبب حدث وقع بحضرته صلى الله عليه وسلم: ما رواه جرير بن عبد الله قال: " كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتأبي النّهار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة" إلى آخر الآية "إن الله كان عليكم رقيبا" والآية التي في الحشر "اتقوا الله ولتنصنر نفس ما قدمت لخذ واتقوا الله"، تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره . حتى قال: ولو بشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهب، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" ³⁴ .

³³ متفق عليه.

³⁴ صحيح مسلم رقم (1017).

ب - وقد لا يذكر السبب في الحديث أو قد يذكر في بعض طرقه، قال البلقيني عن هذا النوع: "فهو الذي ينبغي الاعتناء به"³⁵.

مثال لما ذكر سببه في طرق أخرى للحديث: عن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دعوني ما تركتكم؛ إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"³⁶.

سبب وروده: ما جاء في الرواية الأخرى عن أبي هريرة عند مسلم بلفظ: "قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم. ثم قال: ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"³⁷.

- وأما الذي ورد لسبب ولم يذكر في طرق الحديث ولم يصل إلينا، فلا يضر جهله؛ لأن من تمام حفظ نصوص الشريعة حفظ ما يحفظها من أسباب ومقتضيات التي تؤثر في حسن فهم معانيها، وما لا يتم المعنى من هذه المناسبات، فألفاظ نصوصها كافية لتعقل خطاب الشارع.

سادساً فوائد معرفة أسباب ورود الحديث³⁸:

³⁵ مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (ص: 699).

³⁶ صحيح البخاري رقم (6858).

³⁷ صحيح مسلم رقم (1337).

³⁸ ينظر: الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي (ت 790هـ) (4/ 146 وما بعدها). تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. ومقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (ص: 700). ومذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لمحمد الأمين الشنقيطي (ص: 321)، الطبعة الأولى 1415هـ/ 1995م. وأسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس (ص: 113)، والمحرر في علوم القرآن (ص: 132).

- الوقوف على حكم التشريع ومقاصدها، بمعرفة أحوال المجتمع المسلم عهد الرسالة، للتفريق بين ما يكون تشريعاً عاماً لهذه الأمة - وهو الأصل - وبين ما يرتبط بظرفية معينة يزول بزوالها.

- ترجيح رواية على أخرى بإدراك ما بين الرواة من وصف دقيق لطرق التحمل والأداء، وما ينشأ عن ذلك من ترجيح رواية على أخرى³⁹.

- حسن فهم الحديث وحسن فقهه؛ فقد يكون السبب مفسراً لحالة ورد الحكم بسببها، أو يبين خصوصية اقتضت الحكم، أو تفصيلات مؤثرة اقترنت بالحكم. فسبب الورود قد يبين المجل، وقد يخصص العام، أو يبين الناسخ من المنسوخ.

- إزالة التعارض بين الأحاديث، فقد تكون بعض الأحاديث ظاهرها التعارض، لكن بالرجوع إلى أسباب الورود يتمكن من الجمع بينها.

- معرفة الباعث على الأوامر والنواهي، مما يفيد في حملها على حقيقتها أو صرفها عن ظاهرها إلى الاستحباب أو الإباحة في الأمر، أو إلى الكراهة في النهي.

- الاستفادة من معرفتها في التربية والتزكية والتعليم، بالاطلاع على أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

سابعاً: بعض القواعد الأصولية التي لها علاقة بهذا المبحث:

1 - قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

مفهوم هذه القاعدة أن النص العام الذي ورد لسبب خاص، يعم ولا يقتصر على صورة السبب⁴⁰، إلا إن دل دليل على حصره في صورة السبب.

- مثال لما يعم ولا يختص بالسبب:

³⁹ أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس (ص: 113)، والمحرف في علوم القرآن (ص: 132).

⁴⁰ ينظر: جمع الجوامع لابن السبكي (ص: 323).

حديث: عن أبي هريرة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر برجل يبيع طعاما، فسأله "كيف تبيع؟" فأخبره، فأوحى إليه: أدخل يدك فيه، فأدخل يده فيه، فإذا هو مبلول، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ليس منا من غش"⁴¹. فعموم الحديث يدل على تحريم الغش سواء كان في هذه الصورة أو في غيرها.

وهذا هو الأصل؛ لأن النصوص الشرعية تستفاد منها الأحكام من عمومها، ما لم يأت ما يفيد التخصيص، بدليل حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله: "أقم الصلاة لخصركي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات". فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا؟ قال: "لجميع أمتي كلهم"⁴². وجه الشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم عمم الآية ولم يخصها بسبب نزولها.

2 - مثال لما يختص بصورة السبب: وهو ما يعبر عنه الأصوليون بقولهم حادثة عين لا عموم فيها، وهي إذا كانت صورة السبب خاصة فإن الجواب يكون خاصا⁴³، مثاله:

- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأضحى بعد الصلاة فقال: "من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة، فإنه قبل الصلاة ولا نسك له"، فقال أبو بردة بن نيار خال البراء: يا رسول الله فإني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب، وأحببت أن تكون شاتي أول ما يذبح في بيتي، فذبحت شاتي وتغذيت قبل أن آتي الصلاة، قال: "

⁴¹ صحيح مسلم (رقم 102)، وسنن أبي داود (رقم 3452)....

⁴² صحيح البخاري (رقم 503)، وصحيح مسلم (رقم 2763)....

⁴³ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (291/2).

شأتك شاة لحم". قال يا رسول الله: فإن عندنا عناقا لنا جذعة هي أحب إلي من شاتين أفتجزني عني؟ قال: "نعم ولن تجزي عن أحد بعدك"⁴⁴.

3 - الأمر بماهية مخصوصة بعد سؤال تعليم⁴⁵:

قد مرّ أن من أسباب ورود الحديث جواب النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال، وهذا الجواب قد يكون بأمراً، وقد اختلف الأصوليون في دلالة الأمر الذي يكون بعد سؤال هل هو للإباحة، أم للبدب، أم للوجوب؟ كما وقع الخلاف في الأمر بعد الحظر، والأمر بعد الاستئذان. ومن ثم اختلف العلماء في حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير، هل هي مندوبة أم واجبة؟ لما جاء في حديث أبي مسعود الأنصاري أنه قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم"⁴⁶.

⁴⁴ صحيح البخاري (رقم 912)....

⁴⁵ شرح الكوكب المنير (63/3) لمحمد بن أحمد الفتوح الحنبلي المعروف بابن النجار (ت 972هـ). تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد. مكتبة العبيكان سنة 1418هـ/1997م

⁴⁶ الموطأ رقم (رقم 396)، وصحيح البخاري (رقم 5996)، وصحيح مسلم (رقم 405).

الخاتمة

في نهاية هذا البحث يمكن استخلاص الآتي:

- أهمية الاعتناء بأسباب ورود الأحاديث لما لها من فوائد عديدة في فهم وفقه وتنزيل النص الحديثي.

- قلة التصنيف في هذا العلم سواء من المتقدمين أو المتأخرين، وكل الكتب المؤلفة فيه مفقودة، إلا ما كان من كتاب اللمع في أسباب ورود للسيوطي (ت 911 هـ)، وكتاب البيان والتعريف لابن حمزة الحسيني (ت 1120 هـ).

- يتفق أسباب ورود الحديث مع أسباب نزول القرآن في أمور كثيرة، منها طريق معرفة سبب الورود، ومنها فوائد معرفة سبب الورود ..

- سبب الورود الحديث النبوي قد يكون لسؤال، أو قصة، أو حادثة.

- تطبق العديد من القواعد الأصولية في هذا النوع من الأحاديث، منها:

- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

- حادثة عين لا عموم فيها.

- الأمر بماهية مخصوصة بعد سؤال تعليم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

هذا الكتاب منشور في

